

من لي بذات الدين؟

من لي بذات الدين في هذا الزمان
فلقد عزمت على الزواج تعففًا
لِكِنَّني عَبْدٌ فَقِيرٌ أَبْتَغِي
وَلَئِنْ بَحثْتُ عَنِ الْمُرَادِ فَلَمْ أَجِدْ

من لي بصالحة تقر ببيتها
دوماً تقيم صلاتها وفرضها
جُبِلت على الإحسان، تشد همة
ملك الحياة زمامها متمكنًا
من لي بلوలوة يدوم بريتها
فُطِرت على حب التستر عفة
من لي بمخلصة الفواد، حفيظة
محومة القلب السليم، نقية
ليست بمزعجة، ولا ثرارة
من لي بهادئة الطياع، رزينة
ترضى بما قسم الرحيم، صبوره
من لي بثابتة على نهج صفا
قبضت على جمر الهدى وتحصنت
علمت أصول عقيدة فتمسكت
لله در من استقامت! أحسنت

زَمَنِ التَّبَرُّجِ وَالتَّلَوْنِ وَالْفِتَنِ؟
عَنْ بَاطِلِ الشَّهَوَاتِ فِي دُنْيَا الْعَفَنِ
أَهْلَ الْقَنَاعَةِ بِالْقَلِيلِ مِنَ الْمُؤْنَ
فَلَأَنِكَ حَنَّ يَتِيمَةً لَمْ تُمْتَهِنْ

وَتُقِرُّ عَيْنَ شَرِيكِهَا؟ نِعْمَ السَّكَنُ
لَهُ حَاسِعَةً، وَتَعْمَلُ بِالسُّنْنَ
وَتُقِيلُ عَثَرَةً مِنْ تَخَاذَلَ وَارتكَنَ
فَتَأَدَّبَتِ بِالسَّمْتِ وَالْخُلُقِ الْحَسَنِ
فِي خَدْرَهَا مِنْ مَهْدِهَا حَتَّى الْكَفَنِ؟
عَنْ أَعْيُنِ السَّرَّاقِ فِي زَمَنِ الْفِتَنِ
لِلْغَيْبِ، تُوفِي بِالْعُهُودِ وَتُؤْتَمِنْ؟
رَقَراقةُ الإِحْسَاسِ، تَهْمِسُ بِالْحَسَنِ
- قَطْعًا - وَلَا بِكُمَاءَ تَرَكَنُ لِلْوَسْنِ
ذَاتِ اعْتِدَالِ عِنْدَ فَرْحَ أوْ حَزَنْ؟
نَعْمَ الْمُعِينُ لَدَى الشَّدَائِدِ وَالْمَحَنِ
مِنْ كُلِّ أَصْنَافِ التَّحَزُّبِ وَالنَّنَّ؟
فِي غُرْبَةٍ عَنْ زَيْفِ أَطْيَافِ الْفِتَنِ
بِالْوَحْيِ، لَيْسَ بِرَأْيِ شَيْخِ مُفْتَنِ
صُنْعًا لِنُصْرَةِ دِينِهَا، ثُمَّ الْوَطَنِ

بِاللَّهِ يَا أَهْلَ التُّقَىٰ وَأَوْلَيِ النُّهَىٰ
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَيْهِ يَا أَهْلَ الْفِطْنَ؟
إِنْ كَانَ مَا أَرْجُوهُ حَقًّا وَاقِعًا
أَمْ أَنَّهَا أَحْلَامٌ قَلْبٌ غَافِلٌ

لَهُ أَشْكُو وَحْدَتِي فِي غُرْبَتِي
أَخْطُو عَلَى شَوْكِ الْعَفَافِ مُجَاهِدًا
مِنْ شَرِّ عَارِيَةِ الْحَيَاةِ وَإِنْ تَكُنْ
يَا وَيْحَهَا! خَرَاجَةُ وَلَاجَةُ
تَهْوَى التَّظَاهُرِ فِي مَيَادِينِ الْخَنَا
لَا فَرْقَ عِنْدِي بَيْنَ تِلْكَ وَمَنْ مَشَتْ
قَدْ عَطَرَتْ ثُوبًا رَقِيقًا ضَيِّقاً
تَبَّا لَهَا! هَلْ تَشْتَهِي أَنْ تُشْتَهِي؟!
وَاللَّهُ، لَوْ عُرِضَتْ عَلَيَّ رَحِيقَةً
حَتَّىٰ وَإِنْ ضُرِبَ الْمِثالُ بِحُسْنِهَا
حَتَّمًا سَتَأْكُلُهَا الْعُيُونُ فَقَدْ غَدَتْ
يَا قَلْبٌ لَا يَغْرِزُكَ حُسْنٌ زَائِفٌ

مُدوَّنة أبي قدامة المصري عفان الله عنه

مِنْ مَغْرِبِ حَتَّىِ الْعِرَاقِ إِلَىِ الْيَمَنِ
فَالْعُمُرُ يَمْضِي بِالشَّبَابِ إِلَىِ الْكَفَنِ
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَيْهِ يَا أَهْلَ الْفِطْنَ؟
عَنْ وَاقِعِ النِّسْوَانِ فِي هَذَا الزَّمَنِ؟
* * *

وَلَهِبَ شَوْقِي لِلأنسِ الْمُؤْتَمِنِ
وَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ شَرِّ الْفِتَنِ
فِي الْأَصْلِ كَاسِيَةً لِأَعْضَاءِ الْبَدْنِ
بِالْقَوْلِ تَخْضَعُ لِلْمَرِيضِ الْمُفْتَنِ
وَهُتَافُهَا بِسُقُوطِ أَجْنَادِ الْوَطَنِ
بَيْنَ الرِّجَالِ تَمِيلُ مَيْلًا كَالْفَنَّ
مِنْ فَرْطِ ضِيقِ الثَّوْبِ يُظْهِرُ مَا بَطَنَ
لَا غَرَوْ تَفْخُرُ أَنَّهَا لَمْ تُخْتَنَ
لَرَدَدْتُهَا، أَفْ لِخَضْرَاءِ الدَّمَنِ
فَغَدَا يَزُولُ، وَيُقْلِبُ الْمَمْلُ الْحَسَنِ
كَلَّا مُبَاحًا لِلْجَمِيعِ بِلَا ثَمَنِ
وَأَظْفَرَ بِذاتِ الدِّينِ تَنْجُ مِنَ الْفِتَنِ

